حوليات آداب عين شمس المجلد 50 (عدد يوليو – سبتمبر 2022)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

خطاب الرّحلة بين الواقعيّة والرّمزيّة
رحلة "ابن بطّوطة" و"رحلة ابن فطّومة" أنموذجًا

هيام عبد الكريم المعمريّ*

جامعة محمّد بن زايد للعلوم الإنسانيّة– دولة الإمارات العربيّة المتّحدة
Halmaamari10@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/9/27
تاريخ التحكيم: 2021/9/27
تاريخ قبول البحث: 2021/10/14
تاريخ النشر: 2022/9/30

المستخلص:

تهدف هذه الدّراسة إلى استخدام تقنيّات تحليل الخطاب اللّغويّ؛ والبحث –تحديدًا– في خطاب الرّحلة، والمقارنة بين عملين، ينتميان إلى جنسين أدبيّين متميّزين؛ هما أدب الرّحلة والرّواية، وإن كانا قد حملا في النّهاية عنوان الرّحلة؛ إذ تعدّ الرّحلة الأولى من أشهر الرّحلات الواقعيّة الّتي تخطّت حدود العالم العربيّ لتصل إلى العالم أجمع، بينما تعدّ ثانيتهما مثالا على الرّحلة الرّمزيّة الّتي تقارب الواقع في أحيان، وتغايره في أحايين أخر، وتمثّل عملًا لأديب تجاوز حدود العالم العربيّ إلى العالميّة كذلك.

إنّهما رحلة (محمّد بن عبد الله اللّواتيّ الطّنجيّ)، الملقّب بـــ"ابن بطوطة"، و"المسمّاة بـــ"تحفة النّظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، والمعروفة اختصارًا بـــ"رحلة ابن بطّوطة"، ورواية "رحلة ابن فطّومة"، للرّوائيّ العربيّ العالميّ (نجيب محفوظ).

وانعقدت المقارنة بينهما في سيميائيّة العنوان، والشّخصيّات، والزّمان، والمكان، والأحداث، واللّغة، وصدّرت بإضاءة مختصرة للرّحليتن وصاحبيهما.

وقد خلصت المقارنة –بأوجهها المتعدّدة– إلى تأكيد خصائص كلّ رحلة منهما، وإبراز مواضع الاختلاف والائتلاف بينهما...

الكلمات المفتاحيّة:

خطاب– الرّحلة– ابن بطّوطة– ابن فطّومة– الواقع– الرّمز.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2022.

- **تمهيـــــد:**

يرتحل المرء في عوالم تتهادى به في مسار الحياة، وتتجلّى فيها الرّحلة على اختلاف أطيافها، متداخلة فيها:
رحلة الحياة ورحلة الموت،
رحلة الحقيقة ورحلة الحلم،
رحلة الرّوح ورحلة الجسد،
رحلة الواقع ورحلة الرّمز،
رحلة الأنا ورحلة الآخر،
رحلة داخليّة ورحلة خارجيّة،
رحلة كانت ورحلة نتوق إلى أن تكون،
وتستمرّ الرّحلة...

وبين هذه وتلك.. وهنا وهناك.. حدود تتّضح للرّائي حينًا وضوح الشّمس في كبد السّماء، وتختفي حينًا آخر يتماهى فيه الأصل بالصّورة.

وإذا ارتحلنا رحلة النّفس الإنسانيّة في عوالمها هذه؛ فأبحرنا مع "ابن بطّوطة" في رحلة استنزفت زهرة العمر.. أو همنا في الصّحراء مع "ابن فطّومة" في رحلة لم تكتمل نحو الكمال.. فماذا عسانا نرى؟ وفي أيّ زمان ومكان نكون؟ وإلى أيّ حقيقة نتعرّف؟ وما الرّحلة الأنموذج الّتي يمكن أن تحتذى؟ وهل سنتبيّن طريقنا واضحًا بين الواقع والرّمز، والائتلاف والاختلاف، والأصل والصّورة... أم أنّ الرّؤية ستختلف باختلاف الزّاوية والرّائي؟

هذا ما ستحاول "المدوّنات" البحثيّة الآتية التّطواف معه والنّظر فيه.

- **إضاءة أولى على السّاردَين وسردَيهما:**

أوّلا) ابن بطّوطة ورحلته "تحفة النّظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار":

"هو محمّد بن عبد الله بن محمّد بن إبراهيم بن محمّد بن إبراهيم بن يوسف اللّواتيّ الطّنجيّ أبو عبد الله ابن بطّوطة."[1] وُلِد بطنجة –شمال المغرب– يوم الإثنين السّابع عشر من رجب، سنة ثلاث وسبعمئة للهجرة، الموافق للرّابع والعشرين من فبراير سنة أربع وثلاثمئة وألف للميلاد، (703هـ/1304م). درس بطنجة، وانحدر من بيتِ علمٍ وفقه، تولّى كثيرٌ من أفراده القضاء، وكان يُعِدّ نفسه ليكون قاضيا، إلّا أنّه آثر التّرحال في البلاد على إتمام دراسته الّتي راح ينهل ما فاته منها من معين العلماء والفقهاء الّذين التقاهم في رحلاته.

طغى لقب "ابن بطّوطة" على اسم صاحبه، فأصبح "محمّد بن عبد الله اللّواتيّ الطّنجيّ" يُعرف بين النّاس –إلى يومنا– بهذا اللّقب الّذي لم تَذكر المصادر الّتي وقعَت عليها أيدينا سببه.

بدأ رحلاته وهو في الثّانية والعشرين من عمره، متوجّها إلى بيت الله الحرام، لقضاء فريضة الحجّ، ثمّ لزيارة أولياء الله الصّالحين والتّبرّك بكراماتهم، والانتفاع بعلم العلماء والفقهاء وفضلهم، وإرواء عطشه إلى ارتياد عوالم لم تقع عليها عينه؛ يتعرّف خلالها بلاد المسلمين وغيرهم، ويقف على أوضاعهم، ويسجّل نواحي حياتهم المختلفة، بعين المدقّق والمحقق والأمين، ما وسعه ذلك، حتّى أُطلِق عليه لقب "الرّحّالة الأمين".

اشتُهر "ابن بطّوطة" بقوّة المشاعر الإيمانيّة، والثّقافة الدّينيّة، وحبّ المتصوّفة، ونقاء السّريرة، وحسن الظّنّ بالنّاس، والإنفاق بسخاء، وكره البخلاء. وقيل إنّه كان فارسًا مقدامًا، وصاحب جسد قويّ يتعافى من الأمراض الّتي أودت بحياة كثير ممن عرفهم، وربّما ساعده على ذلك معرفته بالأعشاب وعلاجاتها. واختُلف في صحّة ما قيل عن حبّه للنّساء وتعدّد زيجاته.

أعجب السّلطان "أبو عنّان فارس المتوكّل المرينيّ" وهو الحادي عشر من سلاطين بني مرين في المغرب (749–759هـ/ 1348–1358م) بما رواه "ابن بطّوطة" في أسفاره، فأمر وزيرا له، من أهل الأدب والدّراية بأدب الرّحلات، يدعى "أبو عبد الله بن جزي" بأن يعيد صوغ ما دوّنه "ابن بطّوطة" من أخبار رحلته، بأسلوب أدبيّ سلس وطيّع وجذّاب... فكانت رحلة (تحفة النّظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار).

قيل إنّه توفّي سنة (770هـ) وقيل سنة (779هـ)، بعد أن قضى قرابة الثّلاثين عامًا في رحلاته الثّلاثة الّتي بدأها سنة (725هـ)، وأنهاها سنة (754هـ).[2]

ثانيًا) نجيب محفوظ وروايته "رحلة ابن فطّومة": [3]

هو "نجيب محفوظ" بن عبد العزيز بن إبراهيم بن أحمد باشا. (11 ديسمبر1911-30 أغسطس 2006م). أسماه والده بهذا الاسم المركّب؛ تقديرًا منه لـ"نجيب محفوظ" الطّبيب العالميّ الّذي أشرف على ولادته.

هو عميد الرّواية العربيّة، والحاصل على جائزة نوبل العالميّة للآداب عام (1988م). وُلد في القاهرة، وحصل على "ليسانس" الآداب قسم الفلسفة من جامعة القاهرة، وترقّى في عدد من الوظائف الحكوميّة، إلّا أنّ شغله الشّاغل كان الكتابة الّتي بدأها بمجموعته القصصيّة القصيرة "همس الجنون" عام (1938م)، وانتهاها بمجموعته القصصيّة "أحلام فترة النّقاهة" عام (2004م). وتجلّت موهبته في ثلاثيّته الشّهيرة (بين القصرين، وقصر الشّوق، والسّكّريّة) الّتي انتهى من كتابتها عام (1952م). له ما يربو على الخمسين مؤلّفا، تُرجم معظمها إلى لغات عالميّة عدّة.

تميّز أسلوبه بالجمال والبساطة والعمق في الوقت ذاته، وكان قريب المأخذ للنّاس عامّة؛ إذ دخل إلى قلب الحارة المصريّة، وعايش معاناة أهلها، وتتبّع حياتهم الشّعبيّة البسيطة، وتطرّق إلى أدّق تفاصيلها اليوميّة... وترجمها وقائع حيّة في معظم أعماله الّتي أصبحت مصدرًا لعدد كبير من الأعمال السّينمائيّة والتّلفزيونيّة والإذاعيّة... وغيرها.

نُشرت روايته (رحلة ابن فطّومة) أوّل مرّة عام (1983م)، عن طريق مكتبة مصر بالقاهرة، بجمهوريّة مصر العربيّة، ومَـثّلت منعطفًا مهمًّا في تاريخ كتابته الرّوائيّة؛ بما فيها من رمز، وإيحاء باستلهام التّراث المتجلّي في أدب الرّحلة، ولكن بأسلوب عصريّ، وحبكة روائيّة مقصودة، وبراعة في التّعامل مع المشابه والمغاير، والواقع والحلم، والأنا والآخر، ورحلة الإنسان الّتي لا تنتهي نحو السّعادة والكمال... وهذا ما سنفصّل القول فيه لاحقا.

- إضاءة ثانية على الهدف من السَّردَين:

سبق القول إلى أنّ "ابن بطّوطة" حين قام برحلته كانت قد تجاذبته نوازع عدّة إليها، وكان أوّلها أداء فريضة الحجّ، ثمّ زيارة الأولياء، والانتفاع بعلم الفقهاء والعلماء، وإشباع رغبته في ارتياد الآفاق الرّحبة، واكتشاف المجهول، ومعرفة أحوال العرب والمسلمين في بلاد الإسلام وغيرها من البلدان... وكان حبّ الرّحلة لذاتها وخوض غمارها -إذن- هو الدّافع الرّئيس والهدف الأساس الّذي قصده "ابن بطّوطة". وأغلب الظّنّ أنّه لم يكن يدور في خلده أن يقوم برحلته هذه لأجل أن يؤلّف مؤلَّـفًا؛ يُنمّق خطابه، وينتقي ألفاظه، ويبتدع حكاياته، ويشتهر به بين النّاس، ويضاهي في جودته مؤلّفات سابقيه ومعاصريه، ويكون قدوة للاحقيه... إلخ.

وكان من المتعارف عليه أنّ أخبار الرّحّالة العرب والمسلمين تصل إلى العامّة؛ إمّا عن طريق الرّواة؛ مثلما حدث مع "سلام التّرجمان" و"ابن وهب القرشيّ"، وإمّا عن طريق ترك الرّحّالة أنفسهم مذكّراتٍ عن رحلاتهم، لا تزال تُقرأ إلى يومنا هذا للعلم والمتعة، مثلما فعل "ابن فضلان"، و"المسعوديّ"، و"الإدريسيّ"، و"ابن جبير"، و"الهرويّ"، و"أسامة بن منقذ"، و"عبد اللّطيف البغداديّ"... وغيرهم. أمّا "ابن بطّوطة" فلم ينتم إلى هذا الفريق أو ذاك؛ إذ لم تتحدّث عن أسفاره الرّواة، ولم يكتب هو بنفسه مذكّرات عن أخباره، [4] وقيل إنّه لم يكن ينوي نشر ما دوّنه من أخبار في رحلته، وإنّما أمره بذلك السّلطان "أبو عنّان فارس المتوكّل المريني" بعد أن سمع منه بعض تلك الأخبار، فأشار الوزير "أبو عبد الله الوطاسي" إلى السّلطان بأن يكتب "ابن بطّوطة" هذه الأخبار في مؤلّف يحويها بين دفّتيه.

وقيل إنّ "ابن بطّوطة" لم يكن يحسن الكتابة الأدبيّة، وتزيين الأسلوب بالمحسّنات البديعيّة وجميل الألفاظ، ممّا حدا بالسّلطان إلى أن يعزو إلى وزير من وزرائه من أهل الأدب والاهتمام -وهو الوزير "أبو عبد الله بن جزي"- بإعادة صوغ ما دوّنه "ابن بطّوطة" من حديث رحلته. فجعل "ابن بطّوطة" يكتب و"ابن جزي" ينقّح ويصوغ، ثم عاد "ابن جزي" إلى ما كتب فنقّحه ثانية، وربط بين أجزائه، وأضاف إليه بعض ما لديه من حديث عن البلدان، وخاصّة الحجاز والأراضي المقدّسة والشّام.

كان "ابن بطّوطة" قد زار الدّيار المقدّسة وحجّ إليها ستّ مرات، وعرّفها كما لم يفعل أحد من الرّحّالة الّذين كتبوا عنها من قبل، إلّا أنّ "ابن جزي" لم يرض عن حديثه عن الحجاز ومكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة وموسم الحجّ، فرفعه

ووضع مكانه صفحات من رحلة "أبي الحسن أحمد ابن جبير الأندلسيّ الغرناطيّ" (540-614هـ/ 1140-1217م) الّذي ارتحل ثلاث رحلات من وطنه الأندلس إلى الحجاز والمشرق، قبل رحلة "ابن بطّوطة" بقرن كامل، ووصف رحلاته في كتاب ممتع معروف، أسماه "تذكرة بالأخبار عن اتّفاقات الأسفار".

"ومع أنّ ابن جبير عاش في القرن السّابع الهجريّ/ الثّالث عشر الميلاديّ: أي قبل ابن بطّوطة بقرن كامل، فإن ابن جزي أجاز لنفسه هذا العمل، وكاد يفسد الكثير من صفحات رحلة ابن بطّوطة بتدخلاته تلك الّتي تحمل أسلوب فقيه متأدّب يريد أن يعرض للنّاس شيئًا من علمه ومحفوظه، ولكن لحسن الحظّ لم يضف شيئًا أو يعدّل شيئًا إلّا قرّر ذلك صراحة بقوله: "قال ابن جزي". ومن حسن الحظّ أيضًا أنّ تدخّلاته قليلة، ولا صعوبة في التّعرّف على [كذا] إضافاته ونسبتها إلى أصحابها." [5] ومعنى ذلك أنّ رحلة ابن بطّوطة في مجموعها أصيلة وسليمة إلى حدّ كبير.[•]

إنّ في الأقوال السّابقة إيحاء بأنّ "ابن بطّوطة" لم يُرد من رحلته تأليف مؤلّف أدبيّ منمّق، يحاكي فيه أدباء عصره ورحّالتهم، وإنّما كان هدفه منها هدفًا واضحًا ومباشرًا وهو التّرحال لقصد التّرحال نفسه واكتشاف الآفاق، إضافة إلى ما سبق ذكره من إرادة الحجّ وزيارة الأولياء والعلماء.

وحين نأتي إلى العمل السّرديّ الثّانيّ، فإنّنا نجد أنّ "نجيب محفوظ" قد عمد إلى كتابة رواية أطلق عليها اسم "رحلة ابن فطّومة". و"ابن فطّومة" هذا هو الشّخصيّة الرّئيسة أو المحوريّة في الرّواية. وقد استقى اسمه من اسم أمّه "فطّومة الأزهريّ" الّتي تزوّجت بالشّيخ النّريّ "محمّد العنابيّ" الّذي توفّي عنها، بعد أن أنجبت له طفلا، أسماه "قنديلا". وأطلق عليه إخوته من غيره أمّه لقب "ابن فطّومة"؛ تبرّؤا منه وتشكيكا في نسبه. وقد أحسنت أمّه تربيته، وأوكلت إلى الشّيخ "مغاغة الجبيليّ" مهمّة تعليمه، حتّى تعلّق به وبأخبار رحلاته. وما أن شبّ "ابن فطّومة" حتّى أحبّ فتاة تدعى "حليمة بنت الشّيخ عدلي الطّنطاوي" فخطبها، لكنّ الحاجب الثّالث للوالي رآها فأعجب بها، ولم يستطع والدها الرّفض، فزفّت إليه بين يوم وليلة! وأحسّ "ابن فطّومة" أثناء ذلك بميل شيخه وأمّه إلى بعضهما، فوافق على زواجهما. وطلب من أمّه السّماح له بالسّفر، بعد أن خسر خطيبته، وانتقلت أمّه إلى بيت زوجها، فرضيت، بعد رفض، على ترحّله بحثًا عن مبتغاه في طلب المزيد ممّا أخبره به شيخه، ناشدًا السّعادة، والعدل، والحرّيّة، والعلم النّافع، والخير العميم الّذي سيعود به إلى وطنه وأهله.

ترحّل "ابن فطّومة" عن موطنه دار الإسلام، متّجهًا إلى دار الحيرة، ثمّ دار المشرق، ثمّ دار الحلبة، ثمّ دار الأمان، ثمّ دار الغروب، ناشدًا الوصول إلى دار الجبل الّتي لم يصلها. وكان يجد في كلّ دار يرتحل إليها نظامًا خاصًّا بها، يقدّسه أهلها، ويرضونه لهم، ولا يحيدون عنه، رافضين من الآخر الغريب إرادة تغييره أو التّدخّل في مجريات حياتهم وسائر أمورهم. وكان يجد في كلّ رحلة إلى الدّار التّالية من يرشده إلى الوصول إليها، أو التّنقّل في أرجائها، والتّعرّف إلى مظاهر حضارتها. كما كان يذهب إلى حكّامها وكبار رجالها وشيوخها؛ ليحاورهم ويأخذ منهم أحسن ما لديهم من علم أو رأي يستنير به في رحلته نحو السّعادة والعدل والكمال... لكنّ رحلته لم تكتمل بعد، مما جعله يعهد إلى الرّكب بالمدوّنة الّتي كتب فيها رحلته، منطلقًا إلى دار الجبل، حيث الكمال، علّه يستطيع الوصول إليها يومًا ما.

وهكذا، فإنّ الأمر يختلف اختلافًا بيّنًا بين قصد الرّحّالة "ابن بطّوطة" من رحلته، وقصد الرّوائيّ "نجيب محفوظ" من روايته؛ فبينما صدر الأوّل عن قصد صريح ومباشر وهو التّرحال، ثمّ ذكر ما جاء فيه من أخبار، صدر الثّاني عن قصد متمكّن من الفنّ الأدبيّ، ومتعمّق في التّراث العربيّ والإسلاميّ والعالميّ، فأتت روايته مغلّفة باستلهام التّراث العربيّ، وتحديدًا أدب الرّحلات، ومبطّنة بالرّمز الإنسانيّ العميق الّذي يغوص في خبايا النّفس البشريّة، مستكنهًا ما يكتنفها من آلام وآمال... ومرتحلا معها في عوالم يختلط فيها الواقع بالخيال، والحقيقة بالحلم، والأنا بالآخر.. ويستطيع الرّوائيّ عن طريق هذا الفنّ السّرديّ قول كلّ ما لا يستطيع قوله مباشرة وتصريحًا، متنحيًا بذلك عن أيّ مسؤوليّة قد تلقى على عاتقه جرّاء إنطاق شخصيّاته بما يريد ويضمر.

كما أنّ الهدف الذّاتيّ أو الشّخصيّ الّذي كان وراء قيام "ابن بطّوطة" برحلته؛ إرضاء لرغباته وحده، يواجهه بهدف إنسانيّ جمعيّ في رحلة "ابن فطّومة"، يتمثّل برحلة النّفس البشريّة عامّة، وفي كلّ زمان ومكان، بحثًا عن السّعادة والعدل والكمال، والخلاص من كلّ ما ترزح تحته من ظلم وقهر وظلام... وإن كان النّقص يعتري النّفس البشريّة

ومجتمعاتها وحضاراتها في حياتها الدّنيويّة هذه أينما حلّت وارتحلت... ليبقى التّطلّع إلى الدّار الآخرة حيث العدل والكمال والخلاص والسّعادة المطلقة...

- أهمّ عناصر السّردَين:

1- سيميائيّة العنوان:

1.أ) سيميائيّة العنوان في رحلة "ابن بطّوطة":

انطلق الرّحّالة العربيّ "أبو عبد الله محمّد بن عبد الله اللّواتيّ الطّنجيّ" الشّهير بـــ"ابن بطّوطة" في الرّحلة الّتي أطلق عليها اسم "تحفة النّظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار". وهو اسم يشير إلى التّقليد الّذي سار عليه معظم من كان في عصره ومن سبقه من العلماء أو الأدباء أو الرّحّالة أو الكُتّاب عامّة ومن جاء بعدهم؛ حيث كان يعمد كثير منهم إلى الإطالة في عناوين مؤلّفاتهم، وتدبيجها بالجناس النّاقص أو التّام، وإنهاء أواخر كلمات وفواصلها بالحرف نفسه. فنقرأ (المعجب في تلخيص أخبار المغرب) لـــ"عبد الواحد المراكشيّ" (ت647هـــ)، و(ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكّة وطيبة) لـــ"أبي عبد الله محمّد بن عمر ابن رشيد الفهريّ السّبتيّ"(ت721هـــ)، و(الدّيباج المُذْهَب في معرفة أعيان علماء المذهَب) لـــ"أبي أسحاق إبراهيم ابن عليّ فرحون المالكيّ" (ت799هـــ)، و(مستودع العلامة ومستبدع العلّامة) لـــ"أبي الوليد إسماعيل ابن يوسف بن محمّد... ابن الأحمر" (ت807هـــ)، و(المستطرف من كلّ فنّ مستظرف) لـــ"شهاب الدّين أحمد الإبشيهيّ" (ت852هـــ)، و(تحفة الزّمن في تاريخ سادات اليمن) "للحسين بن عبد الرّحمن الأهدل اليمنيّ" (ت855هـــ)، و(بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة) لـــ"جلال الدّين عبد الرّحمن السّيوطيّ" (ت911هـــ)، و(سلافة العصر في محاسن الشّعراء في كلّ عصر) لـــ"عليّ صدر الدّين بن أحمد نظام الدّين بن معصوم" (ت1086)، و(شذرات الذّهب في أخبار من ذهب) لـــ"أبي الفلاح عبد الحيّ بن عماد الحنبليّ" (ت1089هـــ)... وغيرهم.

ونجد الرّحّالة "ابن جبير الأندلسيّ" (ت614هـــ) سابق الذّكر قد أسمى رحلته بـــ(تذكرة بالأخبار عن اتّفاقات الأسفار)، وهو عنوان قريب الشّبه بعنوان رحلة "ابن بطّوطة".

وفي عنوان رحّالتنا "ابن بطّوطة" نلحظ إشارات صوتيّة، وتركيبيّة، وبلاغيّة، ودلاليّة يمكن أن نذكر منها يأتي:

1) نجد ثلاثة تراكيب بالإضافة، يتكوّن كلّ تركيب منها من كلمتين هما مضاف ومضاف إليه: (تحفة النّظّار) في (غرائب الأمصار) و(عجائب الأسفار).

ويؤدّي هذا التّركيب الثّنائيّ الكلمات إلى إعطاء نوع من الجرس الموسيقيّ، والتّناسق الصّوتيّ، والانسجام النّغميّ الحاصل عند النّطق بها، أو النّظر إليها.

2) نجد أنّ بين كلّ تركيب وآخر حرف جرّ في جهة، وحرف عطف في جهة أخرى، يقومان بوظيفتين قد تبدوان متناقضتين أو متضادّتين في الظّاهر، لكنّهما مترابطتان ومتكاملتان في الوقت ذاته؛ إذ نجد التّركيب الإضافيّ الأوّل (تحفة النّظّار) قد فَصل بينه وبين التّركيب الإضافيّ الثّاني (غرائب الأمصار) حرف الجرّ (في)، كما نجد حرف العطف (الواو) قد فَصل بين التّركيب الثّاني (غرائب الأمصار) والتّركيب الثّالث (عجائب الأسفار). وبهذا الجرّ والعطف يمكننا التّبديل بين المركّبين الثّنائيّين الثّاني والثّالث بطريقة لا تخلّ بالمعنى الأصليّ، بل تضيف إليه معنى جماليًّا آخر، يجعل التّركيب الكلّيّ للعنوان متّصفًا بالمرونة؛ جرّاء هذا التّبديل أو التّقليب إن صحّ التّعبير. فكأنّنا أمام تركيب واحد، مكوّن من كلمة واحدة، نقلّب أحرفها الواحد تلو الآخر، لنحصل على معان جديدة، لا تخرج على المعنى الأصليّ للكلمة الأساسيّة، وإنّما تزيدها بيانًا وجمالا وقوّة واتساعا. إذ يمكننا أن نبدل أو نقلب:

(تحفة النّظّار) في (**غرائب الأمصار**) و(**عجائب الأسفار**) فنقول:

(تحفة النّظّار) في (**عجائب الأسفار**) و(**غرائب الأمصار**)، فلا يختلّ المعنى، ولا يرتبط حرف الجرّ أو حرف العطف بما لا يجوز لهما الارتباط به في تركيب آخر لا يسمح بمثل هذا التّبديل، بل يحتفظ الحرفان بوظيفتيهما الأصليّتين، وبموقعيهما في التّركيب، وإن تبدّل المجرور أو المعطوف والمعطوف عليه.

3) يرتبط بما سبق من قول في إمكانيّة التّبديل بين المجرور والمعطوف أو المعطوف عليه مع بقاء حرفي الجرّ والعطف في محلّهما إمكانيّة أخرى مشابهة، تتمثّل في إمكانيّة التّبادل بين جزئي مركّبي الإضافة الثّاني والثّالث. فـ(تحفة النّظّار) في (غرائب الأمصار) و(عجائب الأسفار) يمكن أن تصبح:

(تحفة النّظّار) في (غرائب **الأسفار**) و(عجائب **الأمصار**). أو أن تصبح:

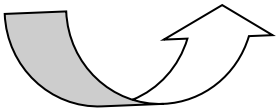

(تحفة النّظّار) في (**عجائب** الأمصار) و(**غرائب** الأسفار).

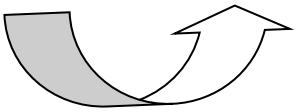

4) نجد الجناس النّاقص بين كلمتي (غرائب) و(عجائب) من جهة، وبين (الأمصار) و(الأسفار) من جهة ثانية، بينما نجده بدرجة أقلّ بين الكلمات الثّلاث (النّظّار) و(الأمصار) و(الأسفار) من جهة ثالثة. كما نلحظ تشابه الفواصل بين نهاياتها في الأحرف الأخيرة منها في مركّبات الإضافة الثّلاثة: (تحفة النّظّار) و(عجائب الأمصار) و(غرائب الأسفار). ويمكن للمتلقّي أن يذهب إلى محاولة تغيير الكلمة الأولى من هذا العنوان –وهي تحفة– لتتماشى في وزنها وإيقاعها مع كلمتي عجائب وغرائب، مختارًا كلمات من مثل: "رغائب" أو "مآرب"، أو "مشارب"... إلخ. كما يمكنه أن يذهب إلى محاولة تغيير الكلمة الثّانية من العنوان (النّظّار) بكلمة أخرى مثل "الأخبار"؛ لتتناسب و(الأمصار) و(الأسفار). لكن صاحب الرّحلة كسر أفق توقّع القارئ، وأتى بكلمتي (تحفة) و(النّظّار)؛ لما تحملانه من دلائل بعينها، تاركًا لقارئه –في الوقت نفسه– حريّة التّوقّع والاستبدال. وقد يقال إنّ عدم اختيار "ابن بطّوطة" للكلمتين الأوليين من عنوان رحلته بشكل يتناغم مع سائر العنوان دليل على أنّه لم يكن معنيًّا بتزيين عنوان رحلته وتنميق شكله الخارجيّ إلى هذا الحدّ، وإنّما صبّ اهتمامه الأكبر بمضمونها وما يحمله من عجائب وغرائب. وقد يكون الرّدّ على ذلك بأنّ المبالغة في تنميق العنوان إلى هذا الحدّ قد تأتي بخلاف المرجوّ، وتفقد العنوان بريقه، وقد تؤثّر على العمل ككلّ!

5) نجد أن الكلمات: (تحفة) و(غرائب) و(عجائب) تجذب اهتمام المتلقي، وتدفعه إلى البحث بشغف في ثنايا الرّحلة عن تلك التّحف الخلّابة الّتي تُمتّع النّاظر إليها، والغرائب المدهشة الّتي تتحلّى الأمصار بها، والعجائب الّتي تكتنف الأسفار وتحيط بها... وبذا استطاعت هذه الكلمات الافتتاحيّة والمفتاحيّة أن تخاطب النّفس البشريّة الّتي تنزع إلى القصّ والتّشويق، وتأخذها إلى عوالم من الإتحاف والإمتاع بكلّ عجيب وغريب...

إنّ ذلك التّناسق في التّركيب، والانسجام في التّرتيب أعطى إحساسًا بالتّناغم الصّوتيّ، والتّوازن النّغميّ، وتكرار الجرس الموسيقيّ... كما أنّ اختيار تلك الكلمات الموحية بالعجائبيّة والغرائبيّة منحت إحساسًا بالدّهشة الأولى والرّغبة في ما هو آت... وكلّها علامات تدّل دلالة واضحة على قوّة تأثير العنوان في نفس المتلقّي، وإدخاله إلى عوالم الرّحلة وإغراءاتها الّتي لا تنتهي.

ومع أنّ رحلة "ابن بطّوطة" قد حملت اسم (تحفة النّظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) بما يتميّز به هذا العنوان من التّناغم والانسجام إلّا أنّ عامّة النّاس يستسهلون إطلاق اسم "رحلة ابن بطّوطة" عنوانًا لهذه الرّحلة؛ اختصارًا لعنوانها الطّويل الّذي لا يذكره أكثرهم، ولا يتداوله إلّا الخاصّة ومن يُعنى منهم بأدب الرّحلة والتّاريخ والجغرافيا وعلم الاجتماع... وغير ذلك. ولشهرة اسم صاحب هذه الرّحلة عامّة فإنّ التّمثيل على مصطلح "أدب الرّحلات" يأتي بالتّعريف به، ثمّ إردافه بالقول: "وقد اشتهر العرب بأدب الرّحلات، ومن أهمّها "رحلة ابن بطّوطة" (770 هـ)."[6]

وقد أوحى اسم "ابن بطّوطة" ورحلته (تحفة النّظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) إلى عددٍ من كتّاب العصر الحديث ومحبّي الرّحلة عامّة بمحاولة استعارة اسمه، ومحاكاة رحلته، والسّير على منوالها، واستعارة عنوانها المختصر (رحلة ابن بطّوطة) ليكون عنوانًا لكتاباتهم ورحلاتهم، مع تحويره قليلا ليتماشى مع ميولهم وطبيعة ما كتبوه.(•) ومن أولئك من أخذ ذلك على محمل الدّعابة والهزل، ومنهم من أخذه سبيلا للإبداع والابتكار. ومن الفريق الأوّل يمكن ذكر "محمود السّعدني" في كتابه (رحلات ابن عطّوطة)،(*) و"نجيب المستكاويّ" في كتابه (ابن بطّوطة الرّياضيّ)،(•) بينما يقف في الفريق الثّاني "نجيب محفوظ" بقامته الرّوائيّة ليكتب روايته (رحلة بن فطّومة) الّتي سنتناول عنوانها كما يأتي:

1.ب) سيميائيّة العنوان في (رحلـــة ابن فطّومة):

كتب "نجيب محفوظ" روايته هذه بعد أن اطّلع اطّلاعًا واسعًا ومتفحّصًا على عدد كبير من رحلات العرب والمسلمين السّابقين، ومنهم "ابن جبير" و"ابن بطّوطة". وقد أجاب عن سؤال وُجّه إليه عمّا إذا كان قد كتب روايته هذه وهو يستحضر في ذهنه رحلة "ابن جبير" خاصّة ورحلة "ابن بطّوطة" عامّة، قائلا: "رحلة ابن جبير ورحلة ابن بطّوطة ورحلات أخرى قرأتها منذ زمن، كانت موجودة في ذهني بالتّأكيد، لكن رحلة ابن فطّومة ليس لها علاقة بالواقع!"[(7)]

لقد صهر "نجيب محفوظ" الرّحلات الّتي قرأها في بوتقة فكره العميق، وعمد عن وعي سابق إلى كتابة رواية تفارق واقع الرّحلات من حيث المضمون، وتقاربه من حيث الشّكل الظّاهريّ لها. وكان أوّل ذلك التّقارب ظهور العنوان الّذي ما إن يسمعه المتلقّي أو يراه حتى تتبادر إلى ذهنه الرّحلة مباشرة رحلة "ابن بطّوطة"، وإن لم يكن ينفي –في الوقت ذاته– إمكانيّة إفادته من رحلات أخرى في كتابتها.(•)

كلمة "رحلة"، إذن، هي العتبة المفتاحيّة الأولى أو المدخل العنوانيّ الأوّل الّذي يحيل إلى معان عدّة، تحتملها هذه الكلمة المصطلحيّة في حدّ ذاتها، وبما تتضمّنه من معنى لغويّ عامّ تارة، ومعنى اصطلاحيّ خاصّ تارة أخرى.

يحمل المعنى اللّغويّ –بدوره– معاني كثيرة ومترابطة في مجملها، تجمع بين الرّحل والرّحلة والرِّحالة... فالرّحل: مركب للبعير والنّاقة، وجمعه أرحلٌ ورحال.. والرّحال الدّور والمساكن والمنازل... وبعير ذو رُحلة ورحلة إذا كان قويًّا على أن يَرحَل. وارتحل البعير رحلة: سار فمضى، ثمّ جرى ذلك في المنطق حتّى قيل ارتحلَ القومُ عن المكان ارتحالًا. ورَحَلَ عن المكان يَرحَل، وهو راحلٌ من قوم رُحَل: انتقل... والتّرحّل والارتحال: الانتقال وهو الرّحلة والرُّحلة. والرّحلة: اسم الارتحال للسّير. يقال: دنَت رحلتنا. ورَحَل فلان وارتحل وترحّل بمعنى".[8]

وبذا فإن معنى كلمة "رحلة" لغةً يأتي ليدلّ على الانتقال من مكان إلى آخر، وما قد يوحي به ذلك من مغامرات واكتشافات وحوادث وأحداث متفرّقة هنا وهناك... وقد تكون رحلة لأغراض شتّى؛ كقضاء أوقات ممتعة، أو إجراء تجارب معيّنة لجهات معلومة ومخطّط لها سلفًا... وغيرها، كما قد تكون رحلة نحو المجهول والاستعداد لمجابهة كلّ ما قد يعترض صاحبها من مخاطر ومغايرات...

كما تحيل كلمة "رحلة" كذلك إلى معنى خاصّ، وهو ذلك النّوع المعيّن من الأجناس الأدبيّة الدّي يعنى بأدب الرّحلات، وما ينضوي تحته من تسجيل ما يمرّ بها الرّحّالة أثناء رحلته من حوادث ومشاهدات... ويعرف "أدب الرّحلات" (travel literature) اصطلاحًا بأنّه: "مجموعة الآثار الأدبيّة الّتي تتناول انطباعات المؤلّف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرّض فيها لوصف ما يراه من عاداتٍ وسلوكٍ وأخلاقٍ، وتسجيلٍ دقيقٍ للمناظر الطّبيعيّة الّتي تشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كلّ هذا في آن واحد."[9]

ويأتي تركيب "ابن فطّومة" ليمثّل العتبة الثّانية أو المدخل العنوانيّ الثّاني الّذي يحيل إلى موروث عربيٍّ أصيل في الذّاكرة العربيّة الفرديّة والجمعيّة على حدٍّ سواء، ترافقه في هذا كلمة "رحلة" الّتي تؤكّد قوّة حضور ذلك الموروث، قوّة وحضورًا يمكن معهما الاكتفاء بـــــــ"ابن فطّومة" الّذي يحيل مباشرة إلى "ابن بطّوطة" وما يتداعى معه تلقائيًّا من ذكر الرّحلة بكلّ محمولاتها المتداخلة والمتلاحقة... وكأنّ كلمة "رحلة" في عنوان هذه الرّواية جاءت من باب تأكيد المؤكّد، وتعريف المعرّف والمعروف، وزيادة الجذب والتّشويق... ليبدأ استدعاء رحلة واقعيّة حملت كثيرًا من العجائب والغرائب في وقتها، وليبدأ كذلك ترقّبٌ مشوقٌ نحو ما ستأتي به الرّحلة (الفطّوميّة) الحديثة من مكنونات وأسرار... وفي رحلة من نوع آخر، يمكن أن تقارب ما يعرف بـــــ"الرّحلة الخياليّة" (fantastic voyage): "وهي قصّة رحلة يقوم بها الإنسان في مناطق غير حقيقيّة، وتصوّر مغامرات خارقة، بقصد التّسلية وإثارة الخيال. مثال ذلك: رحلات السّندباد البحريّ."[10]

ومع أنّ المتلقّي يعرف منذ البدء أنّ ما يتلقّاه هنا هو عمل سرديّ ينتمي إلى فنّ الرّواية، وإن تماسّ مع فنّ أدب الرّحلات، وأنّ كاتب هذا العمل هو روائيّ عربيّ حديث، يحاول أن يغريه بهذا العنوان الرّوائيّ إلّا أنّه لا يستطيع إلّا الانجذاب إليه؛ تلبية لنداء النّفس الإنسانيّة وطفولتها الّتي تظهر على السّطح في شغف لا يقاوم، وتعلّق بأحاديث الرّحلات أيًّا كان زمانها ومكانها، وأيّا كان شكلها أو نوعها!

ومثلما عمد "نجيب محفوظ" إلى استدعاء "رحلة ابن بطّوطة" حالما يقرأ المتلقّي عنوان روايته ويربط بين الاثنتين بوعي أو دون وعي، فإنّه قد عمد إلى الرّبط بين شكل روايته ومضمونها؛ حينما ضمّن العنوان اسم "ابن فطّومة"، في إشارة واضحة –منذ الوهلة الأولى– إلى أنّ هذا الاسم لا بدّ أن يكون اسم الشّخصيّة الرّئيسة الّتي سيدور حولها مضمون الرّواية، بما تبثّ من أفكار، وما تصدر من تحرّكات، وما تصاعد من أحداث... إلخ. ويتأكّد هذا الحدس لدى المتلقّي عندما يرسل بطل (الرّواية– الرّحلة) إشارات أوّلية عن اسمه ونسبه، قائلا إنّ أباه هو تاجر مرموق طاعن في السّنّ يدعى "أبو محمد العنّابيّ"، وإنّ أمّه هي شابّة جميلة تدعى "فطّومة الأزهري"، تزوّجها والده رغما عن أنف إخوته. ومن هنا جاءت التّسمية:

"سمّاني أبي "قنديل" [كذا] ولكنّ إخوتي أطلقوا عليّ "ابن فطّومة"؛ تبراء من قرابتي وتشكيكًا فيها."[11]

وبهذا تزداد قوّة إيهام المتلقّي بأنّه أمام عمل أدبيّ مراوغ، يتحدّث عن شخصيّة "ابن فطّومة" ورحلتها الّتي لا بدّ أن تُقرأ؛ ليُعرف مكنون أسرارها! وليدلّ ذلك على حنكة "نجيب محفوظ" الرّوائيّة ومعرفته بقوّة تأثير عنوان العمل الأدبيّ على متلقّيه، وكونه يمثّل الشّرارة الأولى الّتي تلهب الوجدان!

2– الشّخصيّـــات:

2–أ) الشّخصيّات في رحلة ابن بطّوطة:

تندرج رحلة "ابن بطّوطة" (تحفة النّظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ضمن أدب الرّحلة. وفيه يعمد صاحب الرّحلة إلى التّعبير عن انطباعاته المختلفة فيما يراه، وتسجيل ملاحظاته إن شاء. وبذا فإنّ شخصيّة الرّحّالة هي الشّخصيّة المحوريّة أو الرّئيسة إن أردنا استخدام المصطلحات السّرديّة الحديثة في هذا المقام، وتكون غيرها من الشّخصيّات شخصيّات ثانويّة لا تظهر إلّا على لسان الرّحّالة؛ لإكمال المشهد الحكائيّ. ويمكن القول إنّ هذه الرّحلة وهذا النّوع من الأدب لم يكن ليظهر لولا هذه الشّخصيّة الرّحّالة الّتي تقوم بالأفعال، وتدور حولها الأحداث، ويتحدّد عنصرا الزّمان والمكان حسب تنقلاتها وارتحالها في أصقاع الأرض المترامية، وفي سنوات متفرّقة أو متتالية.

إنّنا ننظر –ببساطة– في هذا النّوع من الأدب من خلال عيني الرّحّالة نفسه، ومن زاوية نظره لأمور يركّز عليها متى شاء، أو يغضّ الطّرف عنها متى أراد.

وبذا فإنّ "الرّحلة تنبئ عن صاحب الرّحلة أكثر ممّا تخبر عن موضوع المشاهدة؛ ذلك أنّ الرّحّالة، إذ يجتهد في تصوير البلاد والمناظر الّتي يرتحل إليها ويطلب تحقّق الإمتاع والمؤانسة بما ينقله إلى قارئه من غرائب وعجائب، فإنّه في ذلك كلّه لا ينفكّ من الحديث عن الذّات تصريحًا وتضمينًا، ولا يملك أن يخرج عن الإهاب الحضاريّ الّذي يصدر عنه، ولا أن يبتعد عن الثّقافة الّتي ينتمي إليها. وبعبارة أخرى إنّ الرّحّالة يحمل معه، في سفره ومشاهداته، عالمه الّذي ينتمي إليه، فهو حاضر وحضوره يقوى ويخفت بقدر ما يشعر بالغربة وبملاقاة الغريب عن أذواقه ولغته ودينه. وبالتّالي

فإنّ الحديث عن «الغريب والعجيب» يستدعي حضور «المألوف»، أي المعتاد عند الذات، شخصًا عينيًّا وثقافة وحضارة."[12]

يظهر "ابن بطّوطة" وهو يقيّد رحلته ويمليها، راويًا مشاهداته وساردًا الحكايات الّتي يبثّها في ثنايا رحلته، وواصفًا ما يشدّ انتباهه من أمور تقع عليها عيناه، دون أن يصرّح مباشرة بأوصافه الشّخصيّة أو بحدودها، تاركًا لمتلقّيه إمكانيّة تكوين فكرة عامّة عنه، ممّا يقوله، أو يبوح به، أو يفصح عنه.

يستهلّ "ابن بطّوطة" نصّ رحلته، مليًا على "ابن جزي" الّذي يوثّق حديثه كالآتي: "قال الشّيخ أبو عبد الله: كان خروجي من طنجة مسقط رأسي، في يوم الخميس الثّاني من شهر الله رجب الفرد، عام خمسة وعشرين وسبعمائة [كذا]، معتمدًا حجّ بين الله الحرام، وزيارة قبر الرّسول عليه أفضل الصّلاة والسّلام، منفردًا عن رفيق آنس بصحبته، وركب أركن في جملته، لباعث على النّفس شديد العزائم، وشوق إلى تلك المعاهد الشّريفة كامن في الحيازم. فجزمت أمري على هجر الأحباب من الإناث والذّكور، وفارقت وطني مفارقة الطّيور للوكور. وكان والداي بقيد الحياة فتحمّلت لبعدهما وصبا ولقيت كما لقيا من الفراق نصبا، وسنّي يومئذ ثنتان وعشرون سنة."[13]

وقد تناولت الأقلام أخبار "ابن بطّوطة" وسيرة حياته ودوّنتها في بطون الكتب، وتناقلتها التّراجم جيلا بعد جيل. وفي الإضاءة الأولى من هذا البحث ذكر لبعض سيرته.(•)

2-ب) الشّخصيّات في رحلة ابن فطّومة:

بينما يركّز أدب الرّحلة على شخصيّة الرّحّالة بوصفها الشّخصيّة الرّئيسة والفاعلة في أحداث رحلتها الّتي اختطّتها لنفسها وبنفسها، دون لجوء إلى تخطيط أو "تكنيك" سرديّ يتعمّده الرّحّالة قبل التّفكير في القيام برحلته فإنّ كاتب "رحلة ابن فطّومة" قد عمد عن وعي سابق وإرادة تامّة إلى تأليف رواية يبثّ فيها آراءه، ويحاكي عن طريقها أسلوب أدب الرّحلة، ويلبس إحدى شخصيّاته لباس الرّحّالة الّذي يقوم بما كان يقوم به الرّحّالة في العصور السّابقة من ترحّل، واكتشاف، وسرد لمرويّاته... إلخ.

وبذا فإنّ الشّخصيّة الرّئيسة في هذه الرّواية هي شخصيّة مصطنعة، ومن نسج الخيال، وتماثلها في ذلك سائر الشّخصيّات الثّانويّة أو الهامشيّة الّتي تتحرّك جميعها بناء على تخطيط الرّوائيّ السّابق، كشخصيّة الرّاوي الّتي تسرد ما دوّنته شخصيّة "ابن فطّومة" من جهة، وتنطق بلسان الرّوائيّ من جهة ثانية، بل إنّ الرّوائيّ ذهب إلى محاكاة رحلة "ابن بطّوطة" إلى أبعد من ذلك؛ حينما أخبر منذ البداية بأنّ هذه الرّواية هي "نقل عن مخطوط" لرحلة "ابن فطّومة". وفي هذا إيحاء بأنّ "ابن فطّومة" كان قد كتب نصّ الرّحلة، وأنّ راويًا عثر عليه، ونقله إلينا. وكأنّ الرّاوي يقوم –هنا– مقام "ابن جزي" في تقييده لرحلة "ابن بطّوطة"، بينما تبقى شخصيّة الرّحّالة في رحلة "ابن بطّوطة" شخصيّة حقيقيّة وواقعيّة، على اختلاف الأزمنة والأمكنة، يستلهم منها الكُتّاب والمؤلّفون مادّة خصبة لأعمالهم الفنيّة المتنوّعة.

وأمّا عن رسم شخصيّة "ابن فطّومة" فإنّ "نجيب محفوظ" قد لجأ بأسلوب الرّوائيّ المتمرّس إلى إظهارها على النّحو الّذي يريد، وبما يخدم غرضه الأساسيّ من تأليف الرّواية برمّتها. فأتت الشّخصيّة مطواعة، تؤدّي الدّور الّذي كُتب لها: تحمل أفكار الرّوائيّ، وتحاكي شخصيّة الرّحّالة الحقيقيّ، وتفني عمرها بحثًا عن المجهول.(•)

يقول "ابن فطّومة" مخاطبًا نفسه في مستهلّ الرّواية: "عمّ تبحث أيّها **الرّحّالة؟** أيّ العواطف يجيش بها صدرك؟ كيف تسوس غرائزك وشطحاتك؟ لِم تقهقه ضاحكًا كالفرسان؟ ولِم تذرف الدّمع كالأطفال؟ وتشهد مسرّات الأعياد الرّاقصة، وترى سيف الجلّاد وهو يضرب الأعناق..." ثم يكمل حديث النّفس، وباستخدام ضمير المتكلّم هذه المرّة، قائلا: "ومهما نبا بي المكان فسوف يظلّ يقطر ألفة، ويسدي ذكريات لا تنسى، ويحفر أثره في شغاف القلب باسم الوطن. سأعشق ما حييت نفثات العطّارين، والمآذن والقباب، والوجه الصّبيح يضيء الزّقاق... كان أبي محمّد العنابي تاجر غلال مترعًا بالثّراء. أنجب سبعة تجّار مرموقين، وعمر حتى جاوز الثّمانين متمتّعًا بالصّحّة والعافية. وفي الثّمانين رأى أميّ الجميلة فطّومة الأزهريّ وهي بنت سبعة عشر..."[14] ثمّ يشرع في الحديث عن أمّه ومعلّمه، ممهّدًا لدخولهما، ومفسحًا المجال لغيرهما من الشّخصيّات للتّفاعل، والحوار، وإثراء الأحداث... إلخ.

3- الزّمان والمكان والأحداث:

3-أ) الزّمان والمكان والأحداث في رحلة ابن بطّوطة:

يترتّب على ما سبق من قول بواقعيّة الشّخصيّة في رحلة "ابن بطّوطة" وبأنّها شخصيّة حقيقيّة، قامت برحلة تلبّي مطالب نفسها... أن تكون الأزمنة والأمكنة الّتي ذكرتها حقيقيّة وأن تكون الأحداث الّتي مرّت بها واقعيّة كذلك في معظمها إلّا إذا أراد الرّحّالة تطعيم رحلته بعدد من القصص العجيبة؛ رغبة التّشويق، أو خُيِّل إليه وقوع أحداث غريبة أحيانًا(♦). وتبقى طبيعة وصفه للأمكنة والأحداث مندرجة ضمن نظرته الخاصّة للأشياء، وتفاعله مع ما شاهد من مناظر تسرّه أو تسوءه أو تثير استغرابه... إلخ.

استغرقت رحلة "ابن بطّوطة" قرابة الثّلاثين عامًا، حيث بدأها في يوم الخميس من شهر رجب، عام خمسة وعشرين وسبعمئة، واختتمها في أواسط ذي القعدة، عام أربعة وخمسين وسبعمئة، (725- 754هـ). وانتهى من تقييدها في ثالث ذي الحجّة، عام ستّة وخمسين وسبعمئة[15]. وقطع في رحلته هذه ما يقارب الخمسة والسّبعين ألف ميل. (75000 ميل)![16] تنقّل خلالها في مناطق عدّة من العالم العربيّ والإسلاميّ والإفرنجيّ؛ كالجزائر وتونس والاسكندريّة وبيروت ودمشق والقدس الشّريف ومكة المكرّمة والمدينة المنوّرة وصنعاء وبغداد والبحرين وعُمان والقسطنطينية وخوارزم والهند والسّند والصّين وجزر ذيبة المهل (المالديف) وسيلان... إلخ. وكان "ابن بطّوطة" طيلة تلك المدّة مثال الرّحّالة النّاقد لما يراه، والمدقّق في صحة كثير مما ينقله من معلومات، وما يصفه من مشاهد. حتّى استحقّ أن يطلق عليه لقب "الرّحّالة الأمين"، واستحقّت رحلته أن تكون أشهر الرّحلات في عصره وإلى يومنا هذا، وأصبحت مصدرًا مهمًّا من مصادر أدب الرّحلات والتّاريخ والجغرافيا وعلم الاجتماع... إلخ. وها هو "ابن جزي" يصفه في ختام تحريره لرحلته قائلا: "ولا يخفى على ذي عقل أنّ هذا الشّيخ هو رحّال العصر، ومن قال رحّال هذه الملّة، لم يبعد."[17]

3-ب) الزّمان والمكان والأحداث في رحلة ابن فطّومة:

ما قيل عن رحلة "ابن بطّوطة" من واقعيّة في الزّمان والمكان وكثير من الأحداث؛ تماشيًا مع واقعيّة الشّخصيّة ومعاصرتها لما تنقل من مشاهدات، يمكن أن يقارن هنا بـــ"رحلة ابن فطّومة" من قول بأنّ الزّمان والمكان والأحداث الّتي مرّت بها شخصيّة "ابن فطّومة" هي من نسج خيال المؤلّف الّذي حاكى بين الواقع الّذي يحياه والحلم الّذي يتمنّاه. فأتى سرده على هيئة رواية تحاكي مرويّات الرّحلات ومدوّناتها. وجاء زمانه زمنًا نفسيًّا[18] داخليًّا، يرتحل في عوالم النّفس البشريّة منذ الوثنيّة إلى العصر الحديث، مرورًا بما بينهما من أزمنة ومتغيّرات وحضارات. وكان مكانه مكانًا غير محدّد المعالم والجغرافيا، وإن كان يوحي بالعالم العربيّ والإسلاميّ وبما يعاصره من بلدان، وما تدور في هذه العوالم من أحداث تشبه أزمنتها وأمكنتها من تماس مع الواقع وابتعاد عنه! كما أتى بطل الرّواية رحّالة معاصرًا يهيم على وجهه في ديار مختلفة؛ بدءًا بـــ(الوطن) أو دار الإسلام، ومرورًا بدار المشرق، ثمّ دار الحيرة، ثمّ دار الحلبة، ثمّ دار الأمان، ثمّ دار الغروب الّتي تسلم إلى دار الجبل، تلك الدّار الّتي ستكون البداية الحقيقيّة للرّحلة نحو الكمال...

وكما فعل "ابن بطّوطة" في رحلته من نقد لما يراه، وإظهار للاستحسان حينًا؛ إذا رأى المساجد والأولياء وأصحاب الكرامات... وللاستهجان حينًا ثانيًا؛ إذا تعلّق الأمر بأمور منافية للدّين الإسلاميّ وتشريعاته... وللاستغراب حينًا ثالثًا؛ إذا تعلّق الأمر بالسّحر والشّعوذة وغيرهما... فكذلك كان يفعل "ابن فطّومة" في رحلته! من محاولته الاستفادة ممّا يراه في ديار الآخرين، ومحاورته لحضاراتهم المختلفة، وطلبه معرفة الذّات بمعرفة الآخر؛ وكأنّه يحاول إقناع نفسه الرّافضة لكثير مما ينافي مبادئها بأنّ لها أن تختار أفضل ما يناسبها من كلّ دار؛ ثمّ تعود به إلى أرض الوطن، محمّلة بكلّ جديد ومفيد من ديار الآخرين وتجاربهم... لكنه لا يصل؛ لنشدانه الكمال الّذي يعلم في قرارة نفسه أنّه لن يتحقق على هذه المعمورة! فيرى أن يعهد (بدفتر رحلته) إلى صاحب القافلة؛ ليسلمه إلى أمّه أو إلى أمين دار الحكمة؛ "ففيه من المشاهد ما يستحقّ أن يعرف، بل به لمحات عن دار الجبل نفسها تبدّد ما يخيّم عليها من ظلمات وتحرّك الخيال لتصوّر ما لم يعرف منها بعد... بهذه الكلمات ختم مخطوط رحلة قنديل محمّد العنابي الشّهير بان فطّومة.

ولم يرد في أيّ كتاب من كتب التاريخ ذكر لصاحب الرّحلة بعد ذلك.

هل واصل رحلته أو هلك في الطريق؟

هل دخل دار الجبل؟ وأيّ حظّ صادفه فيها؟
وهل أقام بها لآخر عمره أو عاد إلى وطنه كما نوى؟
وهل يُعثر ذات يوم على مخطوط جديد لرحلته الأخيرة؟
علم ذلك كلّه عند عالم الغيب والشّهادة."[19]

4- اللّغــة:

4-أ) اللّغة في رحلة ابن بطّوطة:

نَقلت رحلة "ابن بطّوطة" المشاهدات الكثيرة الّتي مرّ بها صاحبها بلغة مباشرة وبسيطة وواضحة، تناسب العصر الّذي كتبت فيه، ولا تستعصي على من جاء بعده في كثير من الأحيان. ولم تأت لغة جامدة، كلغة العلوم الصّارمة، بل يمكن القول إنّها مزجت بين العلم والأدب في إنشائها، فصيغت بأسلوب علميّ متأدّب؛ سعى إلى إعطاء المعلومات الصّحيحة بلغة سرديّة تتخلّلها الحكايات المتناثرة هنا وهناك، وتزيّنها بعض الأساليب البلاغيّة والجمالية. مستخدمًا ضمير المتكلّمين –"نا"– حين الحديث عنه وعن الجماعة الّتي ترافقه؛ كــركِبنا، وعدنا، ووصلنا... إلخ. ومستخدمًا ضمير المتكلّم المفرد –"تاء المتكلّم"– حين الحديث عن نفسه؛ كــحضرتُ، وشكرتُ، وأقمتُ... إلخ.

وقبل الخوض أكثر في لغة الرّحلة وأسلوبها الّذي صيغت به وجب التّذكير بأنّ صاحبها لم ينقلها إلى متلقّيه مباشرة، كتابة وتدوينًا في أثنائها، بل استمرّ في ترحاله قرابة ثلاثة العقود، حتّى إذا ما استقرّ به المقام في بلده، أمر السّلطان بأن يمليها على الوزير "ابن جزي" الأديب الشّاعر.

وفيما يأتي مقاطع ممّا قاله "ابن جزي" في مقدّمة هذه الرّحلة، تبين ما كان منه من عمل، وتوضّح البناء العام الّذي قامت عليه الرّحلة:

"... ونفذت الإشارة الكريمة **بأن يملي** ما شاهده في رحلته من الأمصار، **وما علق بحفظه** من نوادر الأخبار، ويذكر من لقيه من ملوك الأقطار، وعلمائها الأخيار، وأوليائها الأبرار، **فأملى من ذلك** ما فيه نزهة الخواطر، وبهجة المسامع والنّواظر، من كلّ غريبة أفاد باجتلائها، وعجيبة أطرف بانتحائها.

وصدر الأمر العالي لعبد مقامهم الكريم، المنقطع إلى بابهم، المتشرّف بخدمة جنابهم، محمّد بن محمّد بن جزي الكلبيّ–أعانه الله على خدمتهم، وأوزعه شكر نعمتهم– **أن يضمّ أطراف ما أملاه الشّيخ** أبو عبد الله من ذلك، في تصنيف يكون على فوائده مشتملا، ولنيل مقاصده مكمّلا، **متوخّيًا تنقيح الكلام وتهذيبه، معتمدًا إيضاحه وتقريبه**، ليقع الاستمتاع بتلك الطُّرف، ويعظم الانتفاع بدرّها **عند تجريده عن الصّدف**، فامتثل ما أمر به مبادرا، وشرع في منهله ليكون بمعونة الله عن توفية الغرض منه صادرا.

ونقلت معاني كلام الشّيخ أبي عبد الله، **بألفاظ** موفية للمقاصد الّتي قصدها، موضحة للمناحي الّتي اعتمدها. **وربّما أوردت لفظه على وضعه**، فلم أخل بأصله ولا فرعه، **وأوردت جميع ما أورده من الحكايات والأخبار**، على أنّه سلك في إسناد صحاحها أقوم المسالك، وخرج عن عهدة سائرها بما يشعر من الألفاظ بذلك، وقيّد المشكل من أسماء المواضع والرّجال بالشّكل والضّبط. **وشرحتُ ما أمكنني شرحه** من الأسماء العجميّة، لأنّها تلتبس بعجمتها على النّاس، ويخطئ في فكّ مُعمَّاها معهود القياس."[20]

وبذا يتّضح أنّ "ابن جزي" قد جمع ما أملاه "ابن بطّوطة" من أخبار الرّحلة ومشاهداتها، وضمّها في مصنّف راعى فيه تدبيجه بما يناسب من الأساليب البلاغيّة الّتي تزيد لغة الرّحلة جمالا وتشويقًا، وخلّصها ممّا يمكن أن يُخلّ بالنّظم أو التّركيب العام لها، فعبّر عن بعض المعاني بما رآه مناسبًا لها من ألفاظ، وأبقى على غيرها كما هي إن لم تشك الخلل، كما عمل –ما وسعه الجهد– على شرح ما أشكل فهمه على العامّة من الأسماء الأعجميّة وما شاكلها. لكنّه لم يتعرّض لما جاء في الرّحلة من حقائق وأسماء المواضع والرّجال، ولا للحكايات والانطباعات الشّخصيّة الّتي بثّها "ابن بطّوطة" في رحلته، ولا للأسلوب العام الّذي كتبت به. وكان إذا أراد إضافة شيء ما إلى الرّحلة أو تعديله[21] –وإن كان في مواطن قليلة من الرّحلة– فإنّه يبدؤه بقوله: "قال ابن جزي: كذا وكذا..." وفي هذا دليل على الأمانة العلميّة الّتي حرص عليها أثناء تنقيحه للرّحلة. وكأنّ عمله أشبه ما يكون بـــ(التّحقيق) في عصرنا هذا، وما يتعلّق به من تدقيق وتهذيب وتنقيح وشرح وتعليق... وأمانة علميّة في التّعديل أو الحذف أو الإضافة... إلى غيرها من أعمال المحقّق الأمين.

وهكذا خرجت إلينا الرّحلة في حلّتها الأخيرة بإملاء "ابن بطّوطة"، وتنقيح "ابن جزي"، وبتقييد من كليهما، فلم يخل ذلك ببنائها ولا بلغتها، وإنّما تميّزت بأمانة الرّحّالة في السّرد، وأمانة المحقّق في العرض، فأتت واضحة، ومشوّقة، وجامعة لعدد من القضايا الّتي ما زالت مصدر بحث متجدّد إلى يومنا هذا.

4-ب) اللّغة في رحلة ابن فطّومة:

أراد "نجيب محفوظ" في روايته هذه أن ينقل أفكاره ورؤاه فيما يدور حوله من أحداث ومتغيّرات.. وبدا وكأنّه يحاول تعرّف ذلك الآخر في الأماكن والأزمنة المختلفة، ويتنقّل بين هذه الحضارات وتلك، يحاور حكماءها، ويتحسّس مواضع الألم فيها، ويقارن بينها وبين إنسان العالم العربيّ والإسلاميّ... فارتحل بذلك رحلة النّفس البشريّة منذ الوثنية إلى يومنا هذا مرورًا بأنظمة الحكم والسّلطة في الحضارات المختلفة... وأتت هذه الرّواية مستعيرة بناء الرّحلة وهيكلها، بما يتناسب والمضمون العامّ لها، متقمّصة شخصيّة الرّحّالة، ومستخدمة ضمير الأنا في معظم الأحيان أو مخاطبة شخصيّته بضمير الغائب في بعضها، باحثة في صلة الذّات بالآخر، ومتلمّسة الطّريق إلى الخلاص... ومدركة أنّ النّفس البشريّة قد عانت –وما زالت تعاني– من الظّلم والقهر والكبت والاستبداد على الدّوام، وأنّ الإسلام براء ممّا يحدث الآن بين الشّعوب والأفراد، إن كان على أرضه أو على غيرها من بقاع المعمورة... وأن الخلاص الحقيقيّ هو في العدل والحريّة والسّعادة والأمان.. إنّه في الكمال.. كلّ الكمال.. ولتبقى الرّحلة مستمرّة إلى أن يشاء الله تعالى.

جاءت الرّواية لتحمل في مضامينها هذه الأفكار والمسلّمات، لكنّ صاحبها لم يرد أن ينقلها مباشرة، واضحة، ساطعة... بل جعل متلقّيه هو الّذي يستنتجها، ويرحل مع رحّالته، موجعًا بالدّاء، وباحثًا عن الدّواء.. متعاملا مع لغة فلسفيّة وفكريّة تلتفّ بالرّمز، وتحاط بهالة من الصّوفيّة، وتغلّف بالغموض الّذي يتناسب وغموض النّفس البشريّة في عوالمها المتلاطمة بين الواقع والحلم، والذّات والآخر، والقارّ والمتغيّر، وتجنح إلى التّجريد حينما يلزم... محاولة الإيحاء أو الإيماء بأنّ اللّغة منسوجة على منوال لغة البحّارة الأوائل؛ حيث الغوص في جذور التّاريخ والأزمنة، وإن كانت –في الوقت ذاته– لغة مفهومة لمتلقّيها، تشدّه إليها، وتبحر به في رحابها، دون حواجز أو قيود... وهكذا هي لغة "نجيب محفوظ"؛ لغة السّهل الممتنع. لغة تأتي بالسّرد في موضعه، وبالوصف، وبالحوار، أو تزاوج بينها في تناغم ملحوظ. لغة مناسبة لمقتضى الحال، وللزّمان والمكان والواقع، وللشّكل والمضمون. لغة تشي عند قراءتها بصاحبها؛ بلفظه، وأسلوبه، وعربيّته، ومصريّته.

ومن هذه اللّغة نقرأ في رواية "ابن فطّومة":

"الحياة والموت، الحلم واليقظة، محطّات للرّوح الحائر، يقطعها مرحلة بعد مرحلة، متلقّيا من الأشياء إشارات وغمزات، متخبّطًا في بحر الظّلمات، متشبّثًا في عناد بأمل يتجدّد باسما في غموض... سأعشق ما حييت نفثات العطّارين، والمآذن والقباب، والوجه الصّبيح يضيء الزّقاق.. وأناشيد الممسوسين وأنغام الرّباب، والجياد الرّاقصة وأشجار اللّبلاب، ونوح اليمام وهديل الحمام."[22]

"الإسلام اليوم قابع في الجوامع لا يتعدّاها إلى الخارج!"[23]

"ساعني الظّلم والفقر والجهل!"[24]

"وتأمّلت كيف نزخرف أهواءنا بكلمات التّقوى المضيئة، وكيف نداري حياءنا بقبسات الوحي الإلهيّ."[25]

"الأمل الوحيد الباقي لسجين مثلي هو قتل الأمل، والتّكيّف مع القبر الّذي ازدردني، والزّواج من اليأس المهيمن المترامي الرّاسخ."[26]

"وهبطت في الأعماق درجات في إثر درجات فضاع الزّمن فيما ضاع من أسباب الحياة، واختفى التّاريخ. وجهلت السّاعة واليوم والشّهر والعام، توارت المعالم، وبات عمري لغزا، وجعلت أكبر بلا تحديد ولا حساب، ولا مرآة أرى فيها نفسي إلّا الرّفاق..."[27]

"باب الصّبر على مرارة البلوى لإدراك حلاوة النّجوى."[28]

- **الخاتمة**

وهكذا...

كان الارتحال مع "ابن بطّوطة" و"ابن فطّومة" في أثريهما، وكان التّطواف في أعماق النّفس البشريّة على تباين تطلّعاتها وهواجسها... تلك النّفس السّاعية إلى المعرفة؛ معرفة الذّات، ومعرفة الآخر، ومعايشته، ومحاورته، ومحاولة الكشف عن جوانب كانت مجهولة –وما تزال– في زاوية من الزّوايا، إن كانت في رحلة حقيقيّة، أو في رحلة من نسج الخيال، وإن اختلفت الشّخصيّات والأزمنة والأمكنة والأحداث والأساليب اللّغويّة باختلاف ذلك كلّه.

ولتبقى الرّحلة على امتدادها مطمح النّفس البشريّة التّوّاقة –دومًا– إلى الخروج من إسارها؛ زمانًا، ومكانًا، وروحًا، وجسدًا... وكأنّها رحلة الإنسان في عوالمه المتجدّدة والمتعدّدة معًا، وما فيها من مفارقات وعجائب وغرائب... رحلة للتّعبير عن الاختلاجات والتّساؤلات والصّراعات الدّاخليّة والخارجيّة... رحلة في المجهول... وإلى المجهول... رحلة في رحلة... وكأنّها رحلة الإنسان في واقعه ودنياه كلّها بانتظار الرّحلة الكبرى... حيث السّعادة، والحرّيّة، والعدل، والكمال... وحيث المستقرّ.

Abstract

The Discourse of the Journey between the real and the symbolic
The Journey of "Ibn Battuta" and "The Journey of Ibn Fattouma" as a Model
By Hayam Abdul Kareem Almaamari

This study aims to use linguistic discourse analysis techniques; specifically the research in the discourse of journey, and the comparison between two works, belonging to two distinct literary genres. They are the literature of the journey and the literature of novel, though in the end they bore the title of the journey. The first journey is one of the most famous realistic journeys that crossed the borders of the Arab world to reach the whole world. On the other hand, the second is an example of a symbolic journey that approaches reality at times, and differs from it at other times. It also represents the work of a writer who crossed the borders of the Arab world to globalism as well.

They are the journey of (Mohammed bin Abdullah al-Lawati al-Tanji), nicknamed "Ibn Battuta", and "called ""A Masterpiece of the Beholder in the Strangeness of Lands and the Wonders of Travel" ", known briefly as "The Journey of Ibn Battuta"; and the novel of "The Journey of Ibn Fattumah", by the international Arab novelist (Najeeb Mahfouz). .

The comparison between them was made in the semiotics of the title, characters, time, place, events, and language, and was started with a brief information of the two journeys and their authors.

Therefore, this study sought to answer and to conclude its questions and comparisons - with its many facets – so as to confirm the characteristics of each of these journeys, and to highlight the points of differences and the coalition between them.

key words:

Discourse - The Journey - Ibn Battuta - Ibn Fattumah - the real - The Symbol.

الهوامش:

(1) ابن حجر العسقلانيّ، أحمد بن عليّ (ت 852هـ/ 1448م)، **الدّرر الكامنة في أعيان المئة الثّامنة**، 100/4، ، (د.ط.)، (القاهرة: دار الكتب الحديثة، (د.ت.)).

(2) انظر: – ابن حجر العسقلانيّ، أحمد بن عليّ، **الدّرر الكامنة**، 100/4.

– **رحلة ابن بطّوطة المسمّاة تحفة النّظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**. تحقيق: علي المنتصر الكتّاني، ط 4، (بيروت، لبنان مؤسّسة الرّسالة، 1985م)، ص6.

– **رحلة ابن بطّوطة**، ط1، (بيروت: دار النّفائس، 1418هـ–1997م)، ص5–7.

– الصيّاد؛ محمد محمود. **رحلة ابن بطّوطة (مختصر نصّ الرّحلة)**. (خلاصة أمّهات الكتب)، (سوسة، تونس: منشورات دار المعارف، 1985)، ص9–12.

– ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن (ت: 808هـ/1406م)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر، المعروف بمقدّمة ابن خلدون**، ط3، (ج.م.ع: دار نهضة مصر) ص 322.

– مصطفى، أحمد أمين. **الحياة في القرن الثّامن الهجريّ كما تصوّرها رحلة ابن بطّوطة**، ط1، (مطبعة السّعادة، 1413هـ–1992م)، ص13–29.

– مؤنس؛ حسين. **ابن بطّوطة ورحلاته تحقيق ودراسة وتحليل**، (القاهرة: دار المعارف، 1980)، ص11، 16–18.

(3) تناولت بعض المؤلفات والكتب التّكريميّة والدّوريّات حياة "نجيب محفوظ"، وأفردت أعدادًا خاصة فيها للحديث عنه... يذكر منها:

– **فصول**، مجلّة النّقد الأدبيّ، في عددها الخاص عن نجيب محفوظ، ع 69، (القاهرة، ج.م.ع: صيف– خريف 2006م). وقد وردت فيها ثلاثة ملاحق تعطي نبذة عن حياته، وتستعرض المؤلفات التي تناولت أعمال هذا الرّوائي. وهي: فصول نت، ونجيب محفوظ في الثّقافة العربيّة المعاصرة (ببليوجرافيا وملاحظات)، وببليوجرافيا نجيب محفوظ في الانجليزية.

- **ضاد**، مجلّة فصليّة أدبيّة متخصّصة يصدرها اتّحاد كتّاب مصر، في عددها الخّاص عن نجيب محفوظ، ع5، س2، (القاهرة، ج.م.ع: نوفمبر 2006م). وتتضمّن آخر ثلاثة نصوص –أو أحلام– كتبها نجيب محفوظ قبل وفاته، ضمن مجموعته القصصيّة "أحلام فترة النّقاهة". كما أوردت نصًّا قصصيًّا من أوائل الأعمال الرّوائيّة التي كتبها، وعنونها بـــ"حكمة الموت أقصوصة مصريّة بقلم الأديب نجيب محفوظ"، نشرت في مجلة "الرّواية"، في (15 أغسطس 1938م).
- **الرّجل والقمّة: بحوث ودراسات**، اختيار وتصنيف فاضل الأسود، وتقديم سمير سرحان، وشارك في جمع الدّوريّات شكري الشّامي وعبد التّوّاب حمّاد وياقوت الدّيب، ج1، (القاهرة، ج.م.ع: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1989م). على أن يكون للكتاب جزء ثان، يتضمّن بحوثا ودراسات أخرى.

(4) الصّيّاد؛ محمد محمود. **رحلة ابن بطّوطة (مختصر نصّ الرّحلة)**. ص 9–10.

(5) مؤنس؛ حسين. **ابن بطّوطة ورحلاته**، ص 11–12.

(•) ورد في المرجع السّابق قوله: "ومعنى ذلك أنّ رحلة ابن جبير في مجموعها أصيلة وسليمة إلى حدّ كبير." والصّحيح أنّها رحلة "ابن بطّوطة" وليست رحلة "ابن جبير"... ولذا لجأنا إلى تغيير الاسم ليتوافق مع المضمون الصّحيح للحديث عن رحلة "ابن بطّوطة" التي ضمّنها "ابن جزي" بعضًا من أقوال "ابن جبير".

(6) وهبه؛ مجدي، والمهندس؛ كمال. معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة والأدب، ط2، (مكتبة لبنان، بيروت– لبنان، 1984م)، ص 17.

(•) كان "ابن بطّوطة" ورحلته مادّة خصبة لمحاكاتهما في الأعمال الفنّيّة "الدّراميّة"، كـــــ(فوزاير رمضان "فطّوطة") التي قدّمت في الثّمانين من القرن الماضي، ولأكثر من مرّة، وحملت الشّخصيّة الرّئيسة فيها اسم "فطّوطة"، وهي من تأليف عبد الرّحمن شوقي... وتتحدّث عن مشاهير العالم، معتمدة على مادّة الرّحلة، بأسلوب فكاهيّ، محبّب إلى النّفس... كما أدّت الشّخصيّة نفسها بطولة مسلسل حمل عنوان "رحلة فطّوطة السّحريّة (5 أجزاء)". انظر:

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D9%85%D9%8A%D8%B1_%D8%BA%D8%A7%D9%86%D9%85 (August 11, 2012)

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D9%8A%D9%85%D8%A7%D9%86_%D8%A7%D9%84%D8%B7%D9%88%D8%AE%D9%8A (August 11, 2012)

وانظر: مثالا على تلك الفوزاير:

http://www.youtube.com/watch?v=_xhKpaqqLdw&feature=related (August 11, 2012)

http://www.youtube.com/watch?v=fq-YniTwqfM&feature=related (August 11, 2012)

وانظر تطويرًا لهذه الشّخصيّة عن طريق الرّسوم المتحرّكة "أفلام الكارتون" في الرّابط الآتي:

http://www.youtube.com/watch?v=KQ2B_gyvU9w&feature=related (August 11, 2012)

(*) كتب "محمود السّعدنيّ" الصّحفيّ الهزليّ الذي ارتحل إلى عدد من البلدان ودوّن مذكّراته في كتابه **(رحلات ابن عطّوطة)** معلّلا بلهجة عاميّة فكاهيّة سبب اختياره لهذا العنوان، بقوله:

"ابن عطّوطة! ولكنّ عمّنا ابن بطّوطة كان اسمه هو عيبه، فبطّوطة من البطّ، والبطّ طائر لا يطير! شديد الكسل، شديد الوخم، غاية رحلته لقّة في بحيرة، أو نزهة في بركة، أو بلبطة في ترعة حسب الأحوال والتّساهيل.

ولذلك أطلقت على نفسي لقب ابن عطّوطة على وزن ابن بطّوطة باعتبار أن كلاً منّا له رحلات وجولات وسفريّات على اختلاف المكان والزّمان.

أنا إذن ابن عطّوطة، وهي من العطّ، والإنسان يعطّ حتّى يزهق، وأحيانًا حتى يغمى عليه." صفحة الغلاف الخارجيّ من الكتاب، ط1، (القاهرة، ج.م.ع: مركز الأهرام، مؤسّسة الأهرام، 1408هـــ–1988م).

(•) "نجيب المستكاوي" مدرّب رياضيّ، ذهب في بعثات رياضيّة كثيرة إلى بلدان عدّة، ودوّن مذكّراته وما واجه في تلك البلدان في كتاب أسماه "**ابن بطّوطة الرّياضيّ**"، ط2، (بيروت، لبنان: دار الشّروق، 1408هـــ–1988م).

(7) غسّان إسماعيل عبد الخالق، **جهة خامسة: دراسات تطبيقيّة في أدب نجيب محفوظ**، ط1، (بيروت، لبنان: المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر)، ص93.

(•) يميل بعض الدّارسين إلى "الحدس" بأنّ رحلة "ابن جبير" كانت المصدر الأوّل الذي استقى منه "نجيب محفوظ" روايته، مع أنّهم لم يقدّموا دليلا قاطعًا على هذا "الحدس"، كما لم ينفوا –في الوقت ذاته– إمكانيّة إفادته من رحلة "ابن بطّوطة" أو رحلات أخرى. انظر: عبد الخالق، غسّان إسماعيل: **جهة خامسة**، ص30.

(8) ابن منظور؛ أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم (ت: 711ه/ 1311م). لسان العرب، مج 11، دار صادر، بيروت– لبنان، (د.ط، د.ت). ص 273– 279.

(9) وهبه؛ مجدي، والمهندس؛ كمال. معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة والأدب، ص 17.

(10) المرجع السّابق، ص 176.

(11) محفوظ؛ نجيب. **رحلة ابن فطومة**، ط1، مكتبة مصر، 1983، ص6.

(12) العلويّ؛ سعيد بن سعيد، **أدب الحجّ في المغرب العربي: نماذج من الرّحلة الحجّيّة المعاصرة في المغرب**. انظر:
http://al-hadj.com/ar/index.php?part=library/15/019&id=13 (April 28, 2008)

(13) **رحلة ابن بطّوطة المسمّاة تحفة النّظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، دار الكتاب اللّبنانيّ، (د.ت)، ص17–18.

(•) – ما زال الرّحّالة العربيّ "ابن بطّوطة" يحتلّ مكانًا مهمًّا في الثّقافة العربيّة على تنوّعاتها... وتظهر بين حين وآخر هيئات ومراكز تعنى بعلماء العرب ومبدعيهم ورحّالاتهم وإبراز آثارهم، واقتفائها، ونشرها للعالم أجمع... ومن أولئك: "المركز العربيّ للأدب الجغرافيّ– ارتياد الآفاق" في أبوظبي ولندن، حين أسّس جائزة "ابن بطّوطة للأدب الجغرافيّ""، ضمن مشروع "ارتياد الآفاق" الثّقافيّ العربيّ الرّائد، والهادف إلى إحياء أدب الرّحلة والأدب الجغرافيّ العربيّ والإسلاميّ... كما يسعى إلى تأسيس متحف يحمل اسم "ابن بطّوطة"... إلخ. انظر: (http://alrihlah.com 13August 2012) ,

– أدّت شهرة اسم "ابن بطّوطة" في العالم العربيّ، ومن بعده الغربيّ إلى تسمية أحد أهمّ مراكز التّسوّق وأشهرها في إمارة دبيّ، بدولة الإمارات العربيّة المتّحدة باسمه، وهو "مركز ابن بطّوطة"، أو"Ibn Battuta Mall". ويعدّ من أجمل ما أبدعته يد الإنسان، تصميمًا، وزخرفة، وإبهارًا... ويضمّ بين جنباته عددًا من المجسّمات التي تحاكي هيئة الرّحّالة، وبعضًا من متطلّبات الرّحلة، كالسّفينة، والاستطرلاب، والبوصلة... وغيرها، مرورًا ببعض البلدان التي حلّ بها وأشهر رموزها الدّالة عليها؛ كالهند بفيلها، والصّين بتنّينها... وغيرهما.
وفي ذلك إظهار الاعتزاز بهذه الشّخصيّة العربيّة، وتقدير حكمتها، ومحاولة إبقائها حاضرة في الذّاكرة الجمعيّة الإنسانيّة عامّة، والعربيّة والإسلاميّة خاصّة... وتأتي الدّعوة حاضرة للسّير على خطى "ابن بطّوطة" في اكتشاف الآفاق، وتلاقح الحضارات، والاستمتاع بكلّ ذلك، تحت قبّة واسعة، وفي جوّ من الإثارة والمتعة والفائدة....
وقد أنشئ للمركز موقع إلكترونيّ، يعطي لمحة عنه، وعن سبب التّسميّة... انظر:
http://www.ibnbattutamall.com/aboutthemall.html (August 11, 2012)

(•) لا يتّسع المجال إلى تفصيل الحديث عن هذه الشّخصيّة أو غيرها من الشّخصيّات. ولذا كان الاكتفاء بالخطوط الرّئيسة للموضوع عامّة.

(14) محفوظ؛ نجيب. **رحلة ابن فطومة**، ص 5–6.

(•) مثال ذلك قصة "الرّخّ" التي يشكّ كثير من المؤرّخين في صحّتها. ومفادها أنّ "ابن بطّوطة" كان قبيل الفجر في سفينة مع رفاقه، فرأوا أمامهم جبلا ضخما. وهم يعلمون ألّا جبل في هذا المكان! وما هي إلّا أن طلعت الشّمس فتحرّك الجبل طائرًا أمامهم، مسفرًا عن الرّخّ! وقد قيل إنّ هذا من توهّم "ابن بطّوطة"، وإنّ ما رآه ربّما يكون ضبابًا أو نحو ذلك! انظر نصّ الحكاية في رحلة ابن بطّوطة، ص 425.

(15) انظر: **رحلة ابن بطّوطة**، ص18، 455.

(16) انظر الخريطة التي وضعها حسين مؤنس في آخر كتابه؛ لبيان رحلات ابن بطّوطة المقسّمة على ثلاث مراحل.

(17) **رحلة ابن بطّوطة**، ص 456.

(18) انظر: النّعمي؛ حسن. **استلهام النّصّ التّراثيّ في رواية رحلة ابن فطّومة:**
http://www.alnemi.com/forum/index.php?showtopic=13 (March 29, 2007)
http://www.alnemi.com/forum/index.php?showtopic=14 (March 29, 2007)

(19) محفوظ؛ نجيب. **رحلة ابن فطومة**، ص 157–158.

(20) **رحلة ابن بطّوطة**، ص 17.

(21) انظر ذكر هذه المواضع واقتباسات "ابن جزي" من كلام "ابن جبير" في رحلته، في كتاب أحمد أمين مصطفى. **من أدب الرّحلات**، ص214–215، و 221–223.

(22) محفوظ؛ نجيب. **رحلة ابن فطومة**، ص 5–6.

(23) المصدر نفسه، ص8.

(24) المصدر نفسه، ص 11.

(25) المصدر نفسه، ص 17.

(26) المصدر نفسه، ص 76.

(27) المصدر نفسه، ص77.

(28) المصدر نفسه، ص 146.

قائمة المصادر والمراجع

أوّلا: المصادر:

- ابن بطّوطة، محمّد بن عبد الله بن محمّد بن إبراهيم اللّواتيّ (ت:779 ه/1377م): **رحلة ابن بطّوطة**، ط1، (بيروت، لبنان: دار النّفائس، 1418هـ-1997م).
- ابن بطّوطة، محمّد بن عبد الله بن محمّد بن إبراهيم اللّواتيّ (ت:779 ه/1377م): **رحلة ابن بطّوطة المسمّاة تحفة النّظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تحقيق علي المنتصر الكتّاني، ط4، (بيروت، لبنان: مؤسّسة الرّسالة، 1985م).
- نجيب محفوظ. **رحلة ابن فطّومة**، ط1، (القاهرة، ج.م.ع: مكتبة مصر، 1983م).

ثانيًا: المراجع:

- الأسود، فاضل (اختيار وتصنيف): **الرّجل والقمّة: بحوث ودراسات**، تقديم سمير سرحان، وشارك في جمع الدّوريّات شكري الشّامي وعبد التّوّاب حمّاد وياقوت الدّيب، ج1، (القاهرة، ج.م.ع: الهيئة المصريّة العامة للكتاب، 1989م).
- ابن حجر العسقلانيّ، أحمد بن عليّ (ت 852هـ/ 1448م): **الدّرر الكامنة في أعيان المئة الثّامنة**، ج4، (د.ط.)، (القاهرة، ج.م.ع: دار الكتب الحديثة، (د.ت)).
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن (ت: 808هـ/1406م): **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر، المعروف بمقدّمة ابن خلدون**، ط3، (ج.م.ع: دار نهضة مصر، (د.ت.)).
- السّعدنيّ، محمود: **رحلات ابن عطوطة**، ط1، (القاهرة، ج.م.ع: مركز الأهرام، مؤسّسة الأهرام، 1408هـ-1988م).
- الصيّاد، محمد محمود. **رحلة ابن بطوطة (مختصر نصّ الرّحلة)**، (خلاصة أمّهات الكتب)، (سوسة، تونس: منشورات دار المعارف، 1985م).
- عبد الخالق، غسّان إسماعيل: **جهة خامسة: دراسات تطبيقيّة في أدب نجيب محفوظ**، ط1، (بيروت، لبنان: المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، (د.ت)).
- مؤنس، حسين: **ابن بطّوطة ورحلاته** تحقيق ودراسة وتحليل، (القاهرة، ج.م.ع: دار المعارف، 1980م).
- المستكاويّ، نجيب: **ابن بطّوطة الرّياضيّ**، ط2، (بيروت، لبنان: دار الشّروق، 1408هـ-1988م).
- مصطفى، أحمد أمين: **الحياة في القرن الثّامن الهجريّ كما تصوّرها رحلة ابن بطّوطة**، ط1، (مطبعة السّعادة، 1413هـ-1992م).
- ابن منظور؛ أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم (ت: 711ه/ 1311م). **لسان العرب**، مج 11، دار صادر، بيروت- لبنان. (د.ط، د.ت).
- وهبه؛ مجدي، والمهندس؛ كمال. **معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة والأدب**، ط2، (مكتبة لبنان، بيروت- لبنان، 1984م).

ثالثًا: الدّوريّات:

- **ضاد**، مجلة فصليّة أدبيّة متخصّصة يصدرها اتّحاد كتّاب مصر، في عددها الخاصّ عن نجيب محفوظ، ع5، س2، (القاهرة، ج.م.ع: نوفمبر 2006م).
- **فصول**، مجلّة النّقد الأدبيّ، في عددها الخاصّ عن نجيب محفوظ، ع 69، (القاهرة، ج.م.ع: صيف- خريف 2006م).

رابعًا: مواقع الشّبكة الالكترونيّة:

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D9%85%D9%8A%D8%B1_%D8%BA%D8%A7%D9%86%D9%85 (August 11, 2012)

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D9%8A%D9%85%D8%A7%D9%86_%D8%A7%D9%84%D8%B7%D9%88%D8%AE%D9%8A (August 11, 2012)

http://www.ibnbattutamall.com/aboutthemall.html (August 11, 2012)

http://al-hadj.com/ar/index.php?part=library/15/019&id=13 (April 28, 2008)

http://www.alnemi.com/forum/index.php?showtopic=13 (March 29, 2007)

http://www.alnemi.com/forum/index.php?showtopic=14 (March 29, 2007)

http://alrihlah.com (August 13, 2012)

http://www.youtube.com/watch?v=_xhKpaqqLdw&feature=related (August 11, 2012)

http://www.youtube.com/watch?v=fq-YniTwqfM&feature=related (August 11, 2012)

http://www.youtube.com/watch?v=KQ2B_gyvU9w&feature=related (August 11, 2012)